**«التربية الجمالية للطفل»** م.د/انسام اياد علي

مصطلح قديم، ورد في كتابات الفلاسفة وعلماء الجمال، وتُعنى، كمضمون ودلالة، برعاية الذائقة الجمالية البصرية وتطويرها لدى الإنسان الفرد، وتفضي إلى إيجاد التناغم والانسجام بين وحدة المجموعة الاجتماعية العصرية التي ينتمي إليها هذا الإنسان. والتربية الجمالية أساسية في هذه العملية إذا ما أحسن استثمارها، فلا مراء في منعكساتها الحضارية الرفيعة على جوانب حياة المجتمع وفعالياته كلها، لذلك أولتها المجتمعات الإنسانية، قديماً وحديثاً، اهتماماً كبيراً، وبحث الفلاسفة وعلماء الجمال والفنانون، على اختلاف وسائل تعبيرهم، في أنجح وسائل الارتقاء والنهوض بالتربية الجمالية لدى الفرد، ترمم روح الإنسان، وتشذب أحاسيسه، وسلامة نفسه.

وقد يفهم بعض ابنائنا وبناتنا من تربية الذائقة الجمالية أنّها الاستمتاع بالجمال الحسِّي فقط، في حين أنّ الجمال واسع سعة هذا الكون الذي نعيش فيه، وهو ليس محصوراً في المناظر الخارجية للأشياء، كما أنّه ليس حكراً على الأشياء المادية فقط، ولذا قيل إنّ كل تربية إسلامية هي تربية جمالية. فأنت حينها تربّي نفسك على الصدق مثلاً إنّما تزرع شجرة جميلة مزهرة مثمرة يراها الآخر في هذا السلوك اللّطيف والتعامل الجميل والكلمات الطيبة فتبعث في نفسه ما تبعثه شجرة حقيقية مونقة مورقة مشرقة.

ولذا فإنّ التربية الجمالية تبدأ منذ الصغر، فالطفل الذي يفتح عينيه ليرى أمّاً صبوحة الوجه أنيقة الثياب عذبة الألفاظ، وينتقل في بيت تكاد النظافة تنطق في كل جوانبه وزواياه، ويجد الصفاء يرفرف في أنحائه من أمٍّ حانية وأب عطوف، ينغرس حبّ الجمال في نفسه فينشأ وهو جميل في ملبسه وفي تعامله وفي نظرته للأشياء. فدور الأُم في تنظيم بيتها وتزيينه بما يحيله إلى حديقة يجعلنا نأخذ الدروس الأولى في التربية الجمالية بنحوٍ غير مقصود.

ثمّ تأتي العوامل الأخرى في تنشئتنا تنشئة جمالية، فأصدقاؤنا الذين انحدروا من بيوتات لا يسمع فيها إلا القول الجميل، ولا يرى فيها إلا التصرف الجميل، ولا يشمّ فيها إلا الأنفاس العاطرة، ولا يلمس فيها إلا نبض القلوب الحانية، سيتركون بصماتهم الجميلة علينا.. ومعلّمونا الذين يقدّمون لنا في حبّ وحرص وإخلاص وأبوّة أساليب التعامل مع زملائنا والحياة من حولنا، تبقى وصاياهم ترنّ في آذاننا مدى الحياة فأننا كمربين لا يمكننا أن ننمي شخصية الطفل في عملية التعبير عن شخصيته لتحقيق الانسجام الداخلي عنده والتوازن في نفسه وفي علاقته مع الآخرين الا بتنمية الحس التعبيري الحر وضمن الحدود التي تضمن حقوقه كانسان يعيش في مجتمع منظم .وعندما نسمح لطاقاته أن تأخذ مجراها بلا سدود كما يجري ماء النهر بلا موانع فأن مشاعره ستينع وتنمو مزهوة متدفقة. وبالتالي تنمو شخصيته بالطريقة التي نريدها كمربين.. وما نقرأهُ في كتاب الله الجميل، وفي كتاب الكون الحافل بمشاهد الجمال، إنّ ذلك كلّه يعطينا من التربية الجمالية ما لا تمحوه الأيّام ولا تغيِّره الطبائع المتقلّبة حتى لو انقلبت مفاهيم الناس فصاروا يرون القبح جمالاً والجمال قبحاً.

أن دور التربوي دور مهم و خطيرتحديدا ما يعنيه اطفالنا من ظروف غير طبيعية . فهو الذي يربي ويعلم الطفل على الأحكام الجمالية ،ويعلمه أن القانون جميل والعدالة جميلة والتسامح جميل والديمقراطية جميلة . فهو عندما يتحدث لهم عن الجمال ويعلمهم كيف يتذوقوه فأنهم سوف يستمتعون ،وعندما يدعوهم في أن يكتشفوا انفسهم ويكسروا حاجز الروتين والتقليد سوف يتشوقون للحياة أكثر فيكونوا منتجين بلا شك. ويتعلموا كيف يكونون الأفكار ويقيمون المشاريع في الحياة . وبذلك سوف لم ولن يكره الطالب المدرسة عندما تتحول في نظره الى حياة متجددة كلها حيوية .وليست معتقلا للتعلم القسري في زق انواع المعارف والعلوم بطرق كلاسيكية قديمة.